

استراتيجية المقاربة النصية في التعليم الابتدائي وأهميتها في تنمية المهارات اللغوية

The Textual Approach Strategy in Primary Education and Its Importance in Developing Language Skills

الرميصاء بلمكي¹، محمد بلمكي²

¹جامعة تامنغست، (الجزائر)، belmekkierromayssa@gmail.com

²جامعة تامنغست، (الجزائر)، belmekki.mohamed@univ-tam.dz

مخبر الممارسات اللغوية والأدبية بالمناطق الصحراوية الجزائرية وامتداداتها بالساحل الإفريقي

تاريخ الإيداع: 2025/11/01 تاريخ المراجعة: 2025/11/09 تاريخ النشر: السداسي الثاني 2025

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز دور المقاربة النصية في تحسين تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، انطلاقاً من الاعتراف بأن اللغة تُكتسب بفاعلية من خلال النصوص لا من خلال تجزئتها إلى عناصر معزولة. وقد تم تقديم الإطار المفاهيمي للمقاربة النصية وبيان أسسها التربوية، مع تحليل مكوناتها الصفية المرتبطة بالنص وآليات معالجته ودور كل من المعلم والمتعلم. كما تم استعراض أهمية هذه المقاربة في تنمية المهارات اللغوية الأساسية، لاسيما الفهم القرائي والتعبير الشفهي والتحريري والتحكم في القواعد والإملاء ضمن سياقات وظيفية. واعتمد المقال المنهج الوصفي التحليلي لعرض المفاهيم وتفسيرها اعتماداً على دراسات تربوية حديثة. وتوصلت الدراسة إلى أنّ اعتماد المقاربة النصية يمثل مدخلاً بيداغوجياً فعّالاً يضمن بناء كفاءات لغوية أصيلة وقابلة للتطور لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية.

الكلمات المفتاحية: المقاربة النصية، الفهم القرائي، التعبير الشفهي، التعبير الكتابي، القواعد، الإملاء.

Abstract:

This article aims to highlight the role of the textual approach in improving the teaching of Arabic in primary education, based on the recognition that language is more effectively acquired through meaningful texts rather than fragmented elements. The conceptual framework of the textual approach and its pedagogical foundations were presented, along with an analysis of its main classroom components related to text processing and the roles of both teacher and learner. The article also demonstrates the importance of this approach in developing key language skills, especially reading comprehension, oral and written expression, and grammar and spelling within functional contexts. A descriptive-analytical methodology was adopted, relying on recent educational studies. The study concludes that the textual approach is an effective pedagogical model that ensures the development of authentic and sustainable linguistic competencies among primary school pupils.

Keywords: Textual approach, Reading comprehension, Oral expression, Written expression, Grammar, Spelling.

* الرميضاء بلمكي.

تقديم:

شهدت طرائق تعليم اللغة العربية خلال العقود الأخيرة تحولات جوهرية ارتبطت بتطور النظريات اللسانية وعلوم التربية من جهة، وبالتحولات الاجتماعية والتكنولوجية التي أثرت في أنماط اكتساب اللغة لدى المتعلمين من جهة أخرى. وقد أدت هذه التحولات إلى الانتقال التدريجي من الطرائق التقليدية التي كانت تركز على تعليم اللغة في شكل وحدات منفصلة من مفردات وقواعد وتمارين متقطعة، إلى تبني مقاربات حديثة تراعي طبيعة اللغة كنص حي ينبض بالدلالة والسياق ويكتسب بوصفه كلاً متكاملًا لا بوصفه عناصر معزولة. في هذا السياق برزت المقاربة النصية باعتبارها إحدى أهم الاستراتيجيات البيداغوجية الموجهة لتنمية الكفاءات اللغوية والفكرية للمتعلمين في المدرسة الابتدائية، حيث أصبح النص محورا لبناء التعلم وتوليد المعارف وتنمية القدرة على التواصل الشفهي والتحريري في آن واحد.

إن اعتماد المقاربة النصية لا يمثل مجرد تغيير في التقنيات التعليمية، بل يعكس تحولًا عميقًا في النظر إلى المتعلم ذاته، إذ لم يعد متلقيًا سلبيًا للمعرفة كما كان في المقاربات السلوكية، بل فاعلاً مشاركاً في بناء المعنى وفهم الدلالة وتأويل النصوص اعتمادًا على خبراته السابقة ومحيطه الاجتماعي والمعرفي. كما أنها مقارنة تمنح اللغة بعدها الوظيفي والتواصلي، فتجعل تعلمها استجابة لحاجات واقعية ومواقف حياتية تسهم في تنمية قدرات التفكير وتحسين الكفاءة التواصلية.

وتؤكد أهمية المقاربة النصية أكثر في المدرسة الابتدائية بالنظر إلى خصائص هذه المرحلة العمرية التي تتحدد فيها البنى اللغوية الأولى وتشكل فيها قدرات القراءة والكتابة، وتُصقل المهارات التعبيرية والفهم القرائي. لذلك فإن أي خلل في اكتساب اللغة خلال هذه المرحلة قد ينعكس سلبًا على المسار الدراسي اللاحق للمتعلم ويحد من قدرته على التفاعل مع المعارف الأخرى. ومن هنا تظهر الحاجة الأكاديمية والعملية إلى فهم أعمق لفلسفة المقاربة النصية، وأسسها العلمية، وإمكاناتها في الارتقاء بتعليم اللغة العربية وتنمية مهاراتها الأساسية لدى المتعلمين.

انطلاقًا مما سبق، تتحدد الإشكالية المحورية لهذا المقال في السؤال الآتي:

كيف تسهم استراتيجية المقاربة النصية في التعليم الابتدائي في تنمية المهارات اللغوية للمتعلمين، وما الأسس البيداغوجية التي تقوم عليها هذه المقاربة لضمان فعالية تعليمية وتواصلية للغة العربية ضمن سياقها الوظيفي؟

المحور الأول: المقاربة النصية في التعليم الابتدائي

أولاً: مفهوم المقاربة النصية وأسسها البيداغوجية

ينطلق تحليل مفهوم «المقاربة النصية» من جذوره اللغوية التي تعبّر عن معنى الاقتراب والقرب، فاللغة العربية تضمّ "قارب" بمعنى اقترّب، وكذلك "قرب النكاح"¹ دلالة على القرب والملازمة، وهو ما يعكس في هذا السياق التوجّه التربوي نحو النص باعتباره «أرضية» تعليمية يتمّ من خلالها بناء التعلم. وإذا استشفنا من مصطلح «النص» -كما أشار ابن منظور في «لسان العرب»- بأنه «مبلغ أقصى الشيء واستقصاء معناه»² فإننا نلاحظ أنّ المقاربة النصية بمعناها الاصطلاحي تسعى إلى «الدنو من النصّ والصدق في تحليله» والابتعاد عن الأحكام السابقة عليه. وفي ضوء ذلك يمكن تعريف المقاربة النصية بأنها استراتيجية تعليمية تهتمّ بدراسة بنية النصّ ونظامه ومنظومة علاقاته، بحيث ينصرف تركيز المعلم والمتعلم إلى النص كجسدٍ متكامل، لا إلى الجملة المعزولة وحدها.

وفي البُعد البيداغوجي فإنّ المقاربة النصية تُعدّ مشروع عملٍ تعليمي قابل للإنجاز ينطلق من خطة أو استراتيجية تراعي كل العوامل المتداخلة في تحقيق أداء فعّال ومردود مناسب، من حيث الطريقة والوسائل والمكان والزمان، وكذلك «خصائص المتعلّم والوسط والنظريات البيداغوجية»³. وبهذا تتحوّل اللغة من أن تكون مجرد تجميع لمفردات وقواعد منفصلة إلى نسق تواصلٍ فعلي، يكون النصّ محوره المركزي، حيث تدور حوله أنشطة القراءة والفهم، التعبير الشفهي والتحريري، والكتابة والتواصل، في إطار تكاملي. إنّ «المقاربة النصية مقارنة لغوية تربط الفعل التعليمي/التعلمي بالنصوص؛ حيث يُحلل المتعلّم هذه النصوص في ضوء مستوياتها المختلفة (نحوية-دلالية-تداولية)»⁴.

إنّ اختيار النصّ وتوظيفه باعتباره مدخلاً لبناء الكفايات اللغوية والتواصلية لدى التلاميذ في التعليم الابتدائي يستلزم انتهاز مجموعة من الأسس البيداغوجية. أولاً، ضرورة انتقاء نصوص ذات دلالة وظيفية وموضوعات قريبة من حياة المتعلّم ومحيطه الاجتماعي والمعرفي، بحيث تؤمّن له حافزاً للاستقبال والمشاركة. ثانياً، الانتقال من حفظ المفردات والقواعد بمعزل عن السياق إلى تحليل النصّ وبناء المعنى من خلاله، مما ينبّي قدرة المتعلّم على الفهم العميق وليس مجرد التلقين. ثالثاً، التكامل بين مهارات اللغة الأربعة (الاستماع، الكلام، القراءة، الكتابة) انطلاقاً من النص الواحد وليس معالجة كل مهارة بمعزل عن الأخرى. وقد أشير إلى أنّه «ولما كانت المقاربة النصية دعامة أساسية في تدريس اللغة العربية بالمقاربة بالكفاءات، فإنّ اختراق هذا المجال يستوجب البدء بتعريف المقاربة بالكفاءات، وما يتعلق بها»

علاوةً على ذلك، تتميز المقاربة النصية بكونها تسمح للمتعلم بأن يكون فاعلاً مشاركاً في بناء معناه الخاص وليس مجرد متلقٍ للحروف أو القواعد. ففي هذا الإطار، لا يُنظر إلى القاعدة اللغوية كغاية في ذاتها،

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج 1، 2005، ص 540.

² ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج 1، 2005، ص 611.

³ فريد حاجي التدريس والتقييم وفق المقاربة بالكفاءات، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 10

⁴ بغراجي فطيمة، مفهوم المقاربة النصية وتطبيقاتها التربوية في تعليم اللغة العربية، مجلة تعليمات، المجلد 01 العدد 05، 2021، ص 03.

بل أداة يخدم بها المتعلم التعبير والتواصل. يُلاحظ أن الدراسات التطبيقية في الجزائر بينت أن النص أصبح محور النشاطات المبرمجة للوحدة التعليمية، حيث إن المتعلم «يدرك أن القواعد هي وسيلة وليست غاية بذاتها في خدمة التعبير»⁵. وهكذا، تتيح المقاربة النصية توظيف النصوص المدرسية – أو النصوص التي يشارك فيها المتعلم – كمجالات فعلية ودافعة للمهارات اللغوية، ما يجعل عملية التعليم "تعلّمًا ملموسًا" وليس حفظًا شكليًا.

في ضوء ما تقدّم، يمكن القول إن المقاربة النصية تمثل تحولًا جوهريًا في تعليم اللغة العربية، فهي تجعل النص ليس مجرد مادة تُدرس بل محورًا يُعيش داخل العملية التعليمية، وتفتح فضاءً لتشارك المتعلم وتحليل النص وإنتاجه، وكل ذلك في إطار تكاملي للتعلم اللغوي والتواصلي. بالتالي فإن فهمها ومعرفة أسسها البيداغوجية يُعد من المتطلبات الأساسية لأي باحث أو ممارس يسعى إلى تطوير تعليم اللغة العربية في التعليم الابتدائي.

ثانياً: مكونات المقاربة النصية في الممارسات الصفية

تستند المقاربة النصية في تدريس اللغة العربية إلى مجموعة من المكونات البيداغوجية التي تجعل النص محورًا للعملية التعليمية داخل القسم. وتتمثل أهم هذه المكونات في النص باعتباره منطلقًا للتعلم، وآليات تحليل النص وبنائه، ودور كل من المعلم والمتعلم في تفعيل الأنشطة التعليمية، وهو ما يجعل التعليم تواصليًا ووظيفيًا وليس مجرد تمارين لغوية مجزأة.

1/ النص كمنطلق للتعليم اللغوي

يمثل النص حجر الزاوية في المقاربة النصية، حيث يُستثمر بوصفه وحدة لغوية كاملة ذات بنية دلالية وتداولية واضحة، يتم من خلالها اكتساب المهارات اللغوية المختلفة. ويشير الدارسون إلى أن اعتماد النص الكامل يساعد المتعلم على إدراك الاتساق والانسجام بين الجمل، وفهم العلاقات بين الأفكار، وبناء المعنى بطريقة مترابطة، بدل التركيز على جمل معزولة قد تفقد معناها خارج السياق. وقد أكدت دراسة بغراجي (2021) أن «المقاربة النصية تقوم على تحليل النصوص في مستوياتها النحوية والدلالية والتداولية بهدف بناء الكفاءة التواصلية لدى المتعلم»⁶

2/ آليات تحليل النص وبنائه في القسم

تتم عملية التعليم وفق المقاربة النصية عبر مراحل متسلسلة ومتكاملة تبدأ بمرحلة الفهم الأولي للنص، ثم تحليل عناصره، وصولًا إلى إنتاج نص جديد. وتشمل هذه الآليات:

- قراءة النص قراءة صحيحة وفهم محتواه العام؛
- استخلاص الفكرة الرئيسة والأفكار الجزئية؛
- تحليل البنية التركيبية والدلالية للنص؛
- مناقشة الرسائل الضمنية والسياق الاجتماعي والثقافي؛

⁵ رمضان مسعودي، المقاربة النصية في الطور الأول من التعليم الابتدائي السنة الثانية أنموذجاً، مجلة رفوف، العدد 12، 2017، ص 165.

⁶ بغراجي فطيمة، مرجع سابق، ص 05.

- إعادة إنتاج النص بتحويله أو تلخيصه أو تطويره.⁷

3/ دور المعلم والمتعلم في المقاربة النصية

تعيد المقاربة النصية تحديد وظيفة المعلم والمتعلم داخل القسم، إذ لا يظل المتعلم متلقيًا سلبيًا، بل يصبح عنصرًا مشاركًا في بناء معرفته اللغوية من خلال تفاعله المستمر مع النصوص. وفي المقابل يتولى المعلم دور المرشد والموجه الذي يوفر الأدوات والتساؤلات المحفزة للتفكير، ويخلق بيئة صفية قائمة على الحوار. وقد بينت قلاحي (2023) أنّ «المعلم في المقاربة النصية مطالب بتنشيط التفاعل الصفي وتوجيه المتعلم نحو اكتساب مهارات التحليل والتعبير انطلاقًا من النص».⁸

وتعد هذه الثنائية بين دور المعلم والمتعلم من العناصر الحاسمة لنجاح المقاربة النصية، لأنها تجسد مبادئ بيداغوجيا الكفاءات التي تجعل المتعلم فاعلاً في التعلم وليس مجرد مستقبل للمعرفة. يتضح من خلال ما سبق أن العناصر المكونة للمقاربة النصية تمثل نظامًا بيداغوجيًا متكاملًا، يجعل النص مركزًا للتعليم، ويعتمد على التحليل والإنتاج داخل القسم، مع تغيير في الأدوار التربوية لتصبح أكثر تواصلية وتفاعلية. وهو ما ينسجم مع خصائص التعليم الابتدائي الذي يهدف إلى تطوير المهارات اللغوية بشكل تدريجي ووظيفي.

ثالثًا: أنواع النصوص المستعملة في التعليم الابتدائي

يُعتبر اختيار النصوص في التعليم الابتدائي عنصرًا حاسمًا في نجاح المقاربة النصية، إذ يعتمد البناء التعليمي على نصوص أصيلة أو تربوية تتسم بوضوح البنية وسلامة اللغة، وتستجيب لخصائص المتعلمين ومرحلتهم النمائية. ويتطلب التنفيذ البيداغوجي الفعّال تنوع النصوص بما يتيح للمتعلمين اكتساب خبرات لغوية مختلفة، وتطوير مهارات الفهم والتعبير في سياقات متعددة. وتتوزع النصوص المعتمدة عادة في التعليم الابتدائي ضمن ثلاثة أصناف أساسية: النصوص السردية، والنصوص الوصفية، والنصوص التواصلية، مع مراعاة معايير تربوية دقيقة في تحديد طبيعة النص المناسب لكل مستوى.

1/ النصوص السردية: تُعد النصوص السردية الأوسع حضورًا في التعليم الابتدائي، نظرًا لقربها من اهتمامات الطفل وخياله، وقدرتها على جذب انتباهه وإثارة دافعيته للتعلم. وتتميز ببنية واضحة تقوم على الأحداث المتعاقبة والشخصيات والزمن والمكان، مما يساعد المتعلم على فهم تسلسل الأفكار وربط الأحداث واكتساب مفردات جديدة من خلال السياق¹. كما تتيح هذه النصوص فرصًا واسعة للتعبير الشفهي وإعادة السرد والإنتاج الكتابي.

2/ النصوص الوصفية: تركز النصوص الوصفية على تصوير الأشياء أو الأشخاص أو الظواهر، من خلال إبراز السمات والخصائص واختيار التراكيب المناسبة. ويؤدي هذا النوع من النصوص دورًا مهمًا في إثراء المعجم وتنمية القدرة على ملاحظة التفاصيل، إضافة إلى تعزيز تنظيم الأفكار وفق

⁷ بغراجي فطيمة، مرجع سابق، ص 06.

⁸ قلحي بلال، واقع المقاربة النصية وتطبيقاتها بالمدرسة الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 09 العدد 02، 2023، ص 480.

منطلق وصفي قائم على خصائص العنصر الموصوف². ويُسهم هذا في تحسين الدقة التعبيرية لدى المتعلم وقدرته على بناء تراكيب لغوية وظيفية.

3/ **النصوص التواصلية:** ترتبط النصوص التواصلية بالمواقف الحياتية اليومية، كالرسائل القصيرة، والإعلانات، والحوار، والتوجيهات البسيطة. وتمثل هذه النصوص تطبيقاً مباشراً للكفاية التواصلية في سياقات واقعية، تجعل المتعلم يدرك الوظيفة العملية للغة في التواصل الاجتماعي³. فهي نصوص تُنمي مهارات التفاعل، وفهم الرسائل الوظيفية، والاستجابة اللغوية الملائمة وفق الوضعيات المختلفة.

وحتى تحقق المقاربة النصية أهدافها، ينبغي أن تتوافر في النصوص المختارة مجموعة من المعايير التربوية، من أهمها:

- أن تتناسب مع المستوى العمري والمعرفي للمتعلم؛
- أن تتسم بالسلامة اللغوية والبنية الواضحة؛
- أن تحفز التفكير وتدعم بناء المعنى؛
- أن تكون مرتبطة بواقع الطفل وميوله؛
- أن تسمح بتكامل أنشطة الفهم والتحليل والإنتاج.

إنّ تنوع النصوص في التعليم الابتدائي يُسهم في تحقيق مدخل تواصلي وظيفي لتعلم اللغة، ويتيح للمتعلم اكتساب مهارات متعددة في الفهم والتعبير والتحليل، مما يعزّز قدرته على استخدام اللغة في مواقف تواصلية مختلفة.

المحور الثاني: أهمية المقاربة النصية في تنمية المهارات اللغوية

أولاً: تنمية مهارات الفهم القرائي

إنّ تنمية مهارات الفهم القرائي تعدّ من أبرز الأهداف التي تحققها استراتيجية المقاربة النصية في التعليم الابتدائي، إذ إنّ النصّ لا يُعدّ مجرد مكوّن تعليمي بل يُشكل مدخلاً تربوياً يعزز قدرة المتعلّمين على القراءة بوعي وتحليل وربط، لا مجرد النطق أو الاسترجاع الحرفي للنصّ. وتُسهم المقاربة النصية في هذا الإطار على مستويات عدّة، منها الفهم الحرفي، والفهم التحليلي، والفهم النقدي أو التأويلي.

- على مستوى الفهم الحرفي فإنّ العمل مع النصّ في ضوء المقاربة النصية يمكن التلميذ من تحديد المعنى الحرفي للجملة والكلمات ضمن النصّ، والتعرّف على الأسماء والأفعال والظروف والعلاقات النحوية البسيطة، كما يُساعده على استعادة محتوى النصّ وإعادة عرضه بأسلوبه الخاص، وهو ما يعزّز الثقة اللغوية ويعدّ الأساس لبناء مستويات أعلى من الفهم. وقد بيّنت دراسة تناولت التعليم الابتدائي أنّ المقاربة النصية أدّت إلى رفع مستوى الفهم الحرفي لدى المتعلّمين بفضل اعتماد نصوص مناسبة تلائم قدراتهم وتربطها بخبراتهم الحياتية.⁹

⁹ فهد خليل زايد الأساليب العصرية في تدريس اللغة العربية، يافا للنشر والتوزيع، الأردن - عمان، 2011م، ص ص 34-

• الفهم التحليلي: فإنّ المقاربة النصية تدعو المتعلّم إلى تجاوز المعنى الحرفي، نحو استكشاف علاقات التتابع الزمني والمكاني داخل النصّ، وتمييز الأفكار الرئيسة من الفرعية، واستنتاج العلاقات السببية والنتائج، وإدراك مقاصد النصّ والسياق الذي وُضع فيه. ومثّل هذا البعد نقطة تحوّل في تعليم القراءة، حيث تحولت عملية القراءة من تلقّي سلمي إلى نشاط فكري ومشاركة، ويستمدّ المتعلّم عبر هذا المسار خبرة في الربط بين النصّ وعالمه الخاص، مما يساهم في تنمية التفكير النقدي وتحفيز التعبير عن الرأي.²

• الفهم النقدي أو التأويلي: إنّ المقاربة النصية تمنح المتعلّم أفقاً لتأويل النصّ وفقاً لخبراته، وطرح تساؤلات حول ما وراء النصّ، وتقييمه من وجهة نظره، ومقارنته بخبرات أخرى، أو نقده، أو توسيعه. وهكذا يصبح النصّ أداة تربوية ليس فقط لفهم ما قيل، بل للتفاعل معه، وإنتاج معاني جديدة، وتطوير وجهات نظر. وقد أكّدت دراسة تطبيقية أن استثمار النصّ بهذا الأسلوب شجّع التلاميذ على إبراز مواقفهم الشخصية تجاه النصّ، وما فيه من قيم أو مضامين، مما يعزز ملكة التفكير الحرّ ويساهم في تنمية مهارات القراءة بمستوى أعلى.¹⁰

من جهة أخرى، ولما كان التعليم الابتدائي مرحلة تأسيسية، فإنّ استعمال المقاربة النصية في هذه المرحلة ينبغي أن يُراعي بعض الاعتبارات الجوهرية كي يكون تأثيرها إيجابياً، مثل اختيار نصوص تلائم عمر المتعلّم ومستوى لغته، تضمّن مفردات مفهومة وخبرة مسبقة، وتوفّر أنشطة مرافقة للحصة تتدرّج من الفهم الحرفي إلى التحليل ثم التأويل، بالإضافة إلى تنظيم أنشطة تعاون جماعية تشرك المتعلّمين في القراءة والنقاش والإنتاج، وهو ما يعزز التعلّم النشط ويقلّل التلقين. ومن دون هذه الاعتبارات قد تفقد المقاربة النصية جزءاً من فاعليتها في تنمية الفهم القرائي.

في ضوء ما تقدّم، يمكن القول إنّ استراتيجية المقاربة النصية تُعدّ من الركائز الفعّالة لتنمية مهارات الفهم القرائي في التعليم الابتدائي، لأنها تحول القراءة إلى فعل لغوي تواصل-تحليلي-تأويلي، مما يهيئ المتعلّم لمواجهة النصوص بأنماط مختلفة وليكون قادراً على التواصل والتفاعل ليس فقط داخل القسم بل خارج فضائه المدرسي.

ثانياً: تنمية مهارات التعبير الشفهي والتحريري

تحتل مهارات التعبير الشفهي والتحريري مكانة محورية في تعلم اللغة العربية، لأنها تمثل المظهر العملي لاكتسابها، والوجه الذي يُترجم من خلاله ما حصّله المتعلم من رصيد لغوي ومعرفي. فالتعبير في جوهره ليس عملية ميكانيكية لإعادة إنتاج ما يسمعه التلميذ، بل فعل تفكير وتواصل يُمكنه من تنظيم أفكاره والتعبير عن ذاته بلغة سليمة ومتراصة. ومن هذا المنطلق، تُقدّم المقاربة النصية إطاراً فعّالاً لتطوير هاتين المهارتين من خلال التفاعل مع النصوص، واستثمارها كمجال حيّ لبناء الكلام والكتابة معاً.

في جانب التعبير الشفهي، يتيح العمل بالنصوص داخل القسم فرصاً متعددة للتخاطب والمناقشة والحوار. فالتلميذ لا يكتفي بفهم النصّ أو إعادة سرده، بل يتعامل معه بوصفه منطلقاً لإبداء الرأي، وإعادة

¹⁰ فهد خليل زايد مرجع سابق، ص ص 34-40.

بناء المواقف، وصياغة الأسئلة، واستحضار التجارب الشخصية. هذا التفاعل الكلامي يجعل القسم فضاءً للتواصل الحقيقي، حيث تتدرب الألسن على النطق السليم، وتُنمى مهارات الإصغاء، ويُصقل الحس اللغوي في جو من التفاعل الجماعي¹¹. وهكذا يتحول المتعلم من متلقٍ صامت إلى متحدثٍ واعٍ، يستخدم اللغة أداةً للتعبير لا للحفظ فقط.

أما التعبير الكتابي، فهو الامتداد الطبيعي للتعبير الشفهي، لأن الكتابة هي الشكل الأكثر نضجاً للفكر اللغوي. وفي المقاربة النصية، يتعلم المتعلم أن الكتابة ليست نقلاً للنص أو نسخاً لعبارة جاهزة، بل بناء جديد للمعنى من خلال التصرف في النصوص. فقد يختصر التلميذ نصاً مطوّلاً، أو يحوِّله من السرد إلى الحوار، أو يوسّعه بإضافة أحداث وشخصيات، أو يستلهم فكرته ليكتب نصاً موازياً. بهذه الطريقة، تصبح الكتابة ممارسة واعية تُنمي التنظيم المنطقي للأفكار، وتُكسب المتعلم مهارة التدرج في العرض والتسلسل في المعنى¹².

ولا تُقاس فاعلية المقاربة النصية في التعبير الشفهي والتحريري بكمية الأنشطة، بل بنوعية التفاعل الذي تولّده بين المتعلم والنص، وبين المتعلمين أنفسهم. فكل حصة لغوية تُبنى حول نص ذي معنى تُقدّم للتلميذ فرصة لتوظيف لغته في وضعيات واقعية: يتحدث، يصف، يناقش، يكتب، ويصحح ذاته تدريجياً. كما أنّ الاستعمال المنتظم للنصوص المتنوعة يعقّق الحس الجمالي باللغة ويكشف للمتعلمين ثراء تراكيبها وأساليبها، فيتحقق التكامل بين مهارتي القول والكتابة.

إنّ هذه المقاربة تنقل عملية التعبير من دائرة التقليد إلى دائرة الإبداع، وتمنح المتعلم استقلالية في إنتاج الخطاب، سواء كان شفهيّاً أم كتابياً. فبقدر ما يتفاعل مع النصوص ويفكر في دلالاتها، يكتسب أدوات التعبير عن ذاته وعن واقعه بلغة صحيحة ومعنى متماسك، وهو ما يُعدّ الغاية الجوهرية من تعليم اللغة العربية في المدرسة الابتدائية.

ثالثاً: تنمية القواعد والإملاء في سياق نصي

تُعاني ممارسات تعليمية كثيرة في المدرسة الابتدائية من الفصل الصارم بين القواعد والإملاء من جهة، وبين الاستعمال اللغوي من جهة أخرى. إذ تُقدّم القاعدة في صورة تجريدية، وتُمارَس الإملاء بوصفها اختباراً للذاكرة أكثر منها نشاطاً دلالياً، فتظلّ اللغة منفصلة عن وظائفها التواصلية. بينما تطرح المقاربة النصية تصوراً مغايراً، يدمج القواعد والإملاء داخل بنية النص بحيث يصبح المتعلم قادراً على تفسير الظواهر اللغوية من داخل السياق، لا خارجه.

ففي درس النحو مثلاً، لا يبحث المتعلم عن تحديد نوع الجملة أو إعراب كلمة بمعزل عن المعنى، وإنما يتتبع الأثر الذي تحدثه البنية النحوية في اتجاه الدلالة؛ فترتيب الكلمات ليس إجراءً شكلياً، بل هو ما يُسهم في بناء مقصد المتكلم وترتيب الأحداث وإيضاح العلاقات المنطقية. هكذا تنتقل القاعدة من كونها

¹¹ قشطولي كمال، أنواع النصوص التعليمية في المرحلة الابتدائية وغاياتها، مجلة المداد، المجلد 11 العدد 02، 2021، ص 193.

¹² مصطفىاوي جلال، فاعلية المقاربة النصية في تعليم مادة اللغة العربية لتلامذة السنة الأولى طور المتوسط -دراسة تحليلية نقدية، مجلة الكلم، المجلد 07 العدد 01، 2022، ص 260.

«نصًا نظريًا» إلى كونها أداة لفهم المعنى وإعادة إنتاجه داخل وضعيات جديدة.¹³ وبذلك لا تُقدّم المعرفة النحوية جاهزة، بل تُكتشف من خلال تحليل النصوص، وملاحظة ما يتكرر فيها من أنماط تركيبية. وينبغي تعليم الإملاء بالمنطق ذاته، فالنصّ يتيح للمتعلم أن يتعامل مع الكلمة بما هي وحدة دلالية صوتية لها علاقة بسياقها العام، وبعلامات التقييم التي تُوجّه دلائلها. وما دام المتعلم يقرأ ويكتب ضمن نسق متماسك، فإن وعيه بالكتابة السليمة يتشكّل بطريقة تراكمية؛ فهو يلاحظ، ويقارن، ويصحح ذاته دون أن يشعر بأنّ الإملاء عبء منفصل عن بقية التعليمات. فالأخطاء الإملائية لا تُواجه بالتوبيخ أو التلقين الآلي، بل تُستثمر لتوليد قرارات لغوية جديدة لدى المتعلم، وتطوير حسّه البصري بالكلمة.

وتمنح الأنشطة التطبيقية — كتحويل النصوص، واستبدال بعض العبارات، وإعادة صياغة الجمل أو حذف عناصرها أو إضافة أخرى — فرصة حقيقية لاختبار قواعد اللغة والإملاء ضمن وضعيات إنتاج معنوي. فالطفل يكتشف مثلاً ارتباط علامات التقييم بمواضع الوقف والمعنى، ويفهم أنّ التغيّر الإعرابي قد يفضي إلى تعدّد الدلالات، وأنّ الكتابة ليست «صورة» بل تمثيل لمقاصد المتكلم. عند هذا الحدّ، لا يعود الخطأ علامة على الفشل، بل بوابة إلى بناء معرفة جديدة.¹⁴

بهذا التصور، لا تُدرّس القواعد والإملاء من أجل ذاتها، بل من أجل وظيفة التواصل. وتتحول المقاربة النصية إلى فضاء يسمح بنمو اللغة داخل سياق حيّ و متاح، يقرب المتعلم من حقيقة اللغة كما تُستعمل خارج جدران الفصل. وما ينتج عن ذلك من أثر تربوي يتجاوز تصحيح الأخطاء إلى تشكيل كفاءة لغوية مستدامة، تُرافق التلميذ في مراحل تعليمه اللاحقة.

خاتمة

أثبتت التجربة التربوية الحديثة أنّ تدريس اللغة العربية في التعليم الابتدائي لا يمكن أن يظل حبيسًا للطرائق التقليدية التي تفتت اللغة إلى عناصر منفصلة من مفردات وقواعد وتمارين آلية، بل يقتضي اعتماد مقاربات أكثر انسجامًا مع طبيعة اللغة بوصفها نسقًا دلاليًا تواصلًا متكاملًا. ومن هذا المنطلق برزت المقاربة النصية بوصفها خيارًا بيداغوجيًا يستجيب لمطالبات تعليم اللغة في سياقاتها الواقعية، من خلال جعل النصّ محورًا لكل الأنشطة اللغوية داخل القسم، واستثماره أساسًا لبناء الكفاءات بمختلف أبعادها. وقد أظهر هذا المقال، من خلال تحليل الإطار النظري وتفكيك الممارسات الصفية، أنّ المقاربة النصية لا تُعنى بالنص في بعده الأدبي أو الجمالي فقط، بل بما يمثله من وسيط تداولي يسمح للمتعلمين بتوظيف اللغة في سياقات حقيقية ذات معنى، ويُسهّم في تنمية قدراتهم على التفكير والتحليل وإعادة صياغة المعنى بطرائق فردية وإبداعية. كما أكدت النتائج أنّ هذه المقاربة تمنح المتعلم دورًا فاعلًا في بناء المعرفة اللغوية، وتنقل المعلّم من موقع الناقل للمعلومة إلى ميسّر للتعليم، بما يعزز استقلالية المتعلم وثقته في استخدام اللغة.

¹³ وزان ربيعة، تعليمية النحو في ضوء المقاربة بالكفاءات، مجلة دراسات نفسية وتربوية، المجلد 11 العدد 02، 2018،

ص ص 150-152

¹⁴ وزان ربيعة، مرجع سابق، ص ص 150-152

وفي التعليم الابتدائي، حيث تتشكل اللبنيات الأولى للمهارات اللغوية، تظهر أهمية المقاربة النصية أكثر، باعتبارها مدخلاً تدريجياً لتطوير الفهم القرائي، والقدرة على التعبير الشفهي والتحريري، والتحكم في القواعد والإملاء ضمن سياق وظيفي. فالطفل يتعلم اللغة حين يستخدمها، ويتقن بنياتها حين يكتشف وظائفها في التواصل. ومن ثم، فإنّ تبني هذه المقاربة يساهم في تجاوز الإشكالات المتكررة المرتبطة بضعف القراءة والكتابة لدى المتعلمين، ويُعد دعامة تربوية لتجويد مخرجات التعليم اللغوي.

إنّ تدريس اللغة العربية اليوم يحتاج إلى تفعيل المقاربة النصية بوعي تربوي مستند إلى تكوين مستمر للمعلمين، وانتقاء نصوص ذات جودة تربوية، وتوفير أدوات تعليمية تفاعلية تتيح للمتعلم خوض تجربة لغوية حقيقية. وعلى هذا الأساس يمكن القول إن المقاربة النصية ليست مجرد تقنية تعليمية، بل رؤية بيداغوجية شاملة تؤسس لتعلم قائم على التفاعل والتفكير والإنتاج، وتضمن للمتعلمين اكتساب لغة حية وفعّالة قادرة على مرافقتهم في مختلف المراحل الدراسية والحياتية.

أهم النتائج المستخلصة

- المقاربة النصية تُعيد الاعتبار للنص باعتباره وحدة متكاملة لبناء التعلم وليس مجرد مادة للقراءة؛
- تُساهم بشكل فعّال في تحسين مهارات الفهم القرائي بمستوياته الحرفية والتحليلية والنقدية؛
- تُنمّي القدرة على التعبير الشفهي من خلال التفاعل والحوار داخل القسم؛
- تعزّز الكفاءة التحريرية عبر أنشطة مرتبطة بالمعنى والسياق؛
- تجعل القواعد والإملاء ممارسات عملية داخل النص وليس معارف منفصلة؛
- تُطور دور المتعلم ليصبح مشاركا ومبادرا في بناء المعنى؛
- تمنح المعلم دورا تنظيميا وتوجيهيا بعيدا عن التلقين؛
- تساهم في ترسيخ وظيفة اللغة بوصفها أداة للتواصل والفكر؛
- تتماشى مع بيداغوجيا الكفاءات المعتمدة في المدرسة الجزائرية؛
- تمثل مدخلاً ضرورياً لمعالجة ضعف اكتساب اللغة في التعليم الابتدائي.

قائمة المراجع

- 1/ ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج 1، 1، 2005، ص 540.
- 2/ بغراجي فطيمة، مفهوم المقاربة النصية وتطبيقاتها التربوية في تعليم اللغة العربية، مجلة تعليميات، المجلد 01 العدد 05، 2021
- 3/ رمضان مسعودي، المقاربة النصية في الطور الأول من التعليم الابتدائي السنة الثانية أنموذجا، مجلة رفوف، العدد 12، 2017،
- 4/ فريد حاجي التدريس والتقييم وفق المقاربة بالكفاءات، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013
- 5/ فهد خليل زايد الأساليب العصرية في تدريس اللغة العربية، يافا للنشر والتوزيع، الأردن - عمان، 2011م

- 6/ قشطولي كمال، أنواع النصوص التعليمية في المرحلة الابتدائية وغاياتها، مجلة المداد، المجلد 11 العدد 02، 2021
- 7/ قلحي بلال، واقع المقاربة النصية وتطبيقاتها بالمدرسة الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 09 العدد 02، 2023
- 8/ مصطفىاوي جلال، فاعلية المقاربة النصية في تعليم مادة اللغة العربية لتلامذة السنة الأولى طور المتوسط -دراسة تحليلية نقدية، مجلة الكلم، المجلد 07 العدد 01، 2022
- 9/ وزان ربيحة، تعليمية النحو في ضوء المقاربة بالكفاءات، مجلة دراسات نفسية وتربوية، المجلد 11 العدد 02، 2018